1- تمهيد

تؤدى أنشطة السياحة إلى حدوث تأثيرات في الحيـاة الاجتمـاعية والثقافية للمجتمع المستضيف. وهنا تجب الإشارة إلى أنَّ المجتمع يكون دولة أو اقليما أو موقعاً محدداً أو أنَّ المجتمع هو مجموعة من البشر Group of people تعيش معا في ذات المكان. ويستطيع المجتمع خلال فترة من الزمن أنْ يُحدد خصائصه عن طريق ممارسة عاداته ونظم حياته المميزة.

وغالبا ما يتم التعبير عن طريقة المعيشة بكل أبعادها بما يسمى الثقافة أو ما يسمـى باللغة الانجليزية "Usually incorporated in the word " culture". يكون حديثنا هنا ليس مـن وجهـه النظـر أو بالمعنـى الـذى يقـره علماء الاجتماع والانثروبولوجيون Sociolgists and anthropolgists ولكن يكون التركيز على مجالات الاهتمام بالتأثيرات غير الاقتصادية متمثلة في المشاكل الناتجة عن السياحة.

ويجب أنْ يؤخذ في الاعتبار عدم تعميم الآثار السلبية للسياحة على دولة مترامية الأطراف كالهند، ولكن ذكر الآثار السلبية للسياحة يكون له معنى حقيقى عند دراسته في المناطق السياحية في الهند فقط. وسواء صاحب السياحة تغيرات في المجتمع أو أن هذه الآثار تسربت وانتشرت خلال المجتمع، **فإنَّ ذلك يتأثر بعدد من العوامل مثل: مساحة الدولة وحجمها - مدى انتشار النشاط السياحى بها- مستوى أو درجة صلابة وقوة الديانات والثقافة في ذات الدولة. وكان الاهتمام بدراسة السياحة حتى منتصف السبعينيات من القرن العشرين متركزا على أثارها الاقتصادية الإيجابية، مع دراسات محدودة جدا للتفاعل الحادث بين السائحين**

والمجتمع المضَّيف، ونال الأمر الأخير حديثا قسطا كبيرا من اهتمام العلماء والباحثين. وعلى ضوء نتائج العديد من الدراسات أصبح هنـاك ضـرورة للتخطيط العلمى السليم للسياحة لمواجهة ظاهـرة النمو المطرد وغـير المرشد Over - rapid growth في أعداد السائحين للدول المضيفَّة.

وأوضحت العديد من الدراسات أن تأثيرات السياحة تمثلت في تغيرات كبيرة إما ذات فائدة أو معدومة الفوائد، وأنَّه ليس من الضرورة توافق وجهة نظر المجتمع وأفراده تجاه هذه التغيرات. ويوصف تأثير السياحة الدولية في المجتمع المضيف بأنَّه آلة أو آداة التغيير الكبرى "A major " change agent، غير أن ذلك الوصف يعتريه بعض من الشك. وليس من المستغرب القول بأنَّ السياحة الدولية هى القوة المحركة والمحفـز لهـذه التغيرات، حيث يجلـب السائحون معهـم تقاليدهم Values and expectations. ويؤكد ذلك ما قاله Eric Cohen وأسماه الفقاعة الأيكولوجية Ecological bubble. ويعنى بذلك أنَّه مهما كانت درجة أو مستوى فقر الدولة المستضيفة للسياحة يجب عليها تجهيز البنية الأساسية لمناطقها السياحية على ذات مستوى الدول الأوروبية والتي تكون قادرة على إمداد السائحين بالفقاعة البيئية الواقية "Protective ecological bubble" لما درج عليه من عادات في مجتمعه الأصلي.

ولوحظ في العديد من الدول، أنَّ السائحين ليس عندهم حساسية للعادات والتقاليد والمعايير المحلية. ولا يحدث التلاحم أو الاندماج Integrate بين السائحين والمجتمع بـل يحدث نوع من المواجهه والتصادم Confront. وحدوث التفاعل بين الأعداد الكبيرة من السائحين والمجتمع أمر حتمى وله صورتان:

أ- رفض المجتمع للسائحين أو ب- التأقلم مع سلوك الأجانب وتوليد نمط من التفاعل الاجتماعي والمسمى بظاهرة التقليد Demonstration effect. ويعنى ذلك قدرة المجتمع المستضيف على محاكاة الزائرين. ومع ذلك فإنَّ كلا الاتجاهين

يؤدى بدوره الى إيجاد أنماط متباينة من المشاكل. والأمر الجدير بالاهتمام في هذا المجال هو كيف يمكن للسائحين أنْ يصبحوا على علم ودراية بعادات وتقاليد ومحرمات أو ممنوعات Taboos المجتمع المستضيف.

2. تأثيرات السياحة في القيم والسلوك الاجتماعى

Effects on Social Behaviour and Values

لا يقتصر تأثير السائحين في رفع القوة الشرائية في أماكن الزيارة وتطويع كل الإمكانات لاستخدامها، ولكنهم فوق ذلك يجلبون معهم بعض أنواع السلوك التى يكون لها تأثيرٌ كبيرٌ في تبديل أو تحويل العادات الاجتماعية المحلية بطريق الإحلال أو عن طريق إحداث تشويش واضطراب للقواعد الأساسية القائمة والمستقرة لفترات طويلة في المجتمع المستضيف. والسياحة كما هو معلوم نشاط اجتماعى يؤدى إلى تغيرات في تركيب سلوك المجتمع. ويمكن ملاحظة العديد من هذه التغيرات في كل مناطق العالم. فنجد أنَّه على سكان المجتمع المستضيف، ليس فقط قبول وتحمل والتعامل مع ظاهرة الازدحام اثناء مواسم الذروة السياحية، بل عليهم تطويع ظروف حياتهم للتعامل مع مثل هذه المعطيات (فعلى سبيل المثال قبول العمل بنظام الورديات الليلية وزيادة ساعات العمل) وعليهم العيش عن قرب أو معايشة مختلف أنواع الزائرين وخاصة الذين يحضرون للترفيه والاستمتاع. ولكن يجب أنْ نعلم أنَّ أمرًا مثل هذا التعايش لا يكون سهلا في كثير من الأحيان، بل يؤدى في معظم الأوقات إلى زيادة الكراهية للأجانب. ويكون مثل هذا الأمر ملحوظا في الأماكن السياحية المشهورة أو في الأماكن التي يقطنها سكان ليسوا على استعداد، لأسباب سيكولوجية وثقافية واجتماعية لقبول أو خضوع لفكرة الغزو السياحي.

وينتج تأثير التفاعل الاجتماعي والمسمى بظاهرة التقليد من تفاعل المجموعات المختلفة من البشر عن طريق تغيير القيم. ولما كانت السياحة نشاطا إنسانيا فإنَّه من الضروري تجنب حدوث تصادم بين الزائرين والسائحين وأهالي المجتمع المضيف.

ويجب أنْ تكون سلوكيات الزائرين والسائحين بالمستوى الذى يتقبله المجتمع المُضَيف. ولا شك أنَّ مرونة المجتمع المُضَيف لقبول السياحة يخضع لعديد من الدلالات الوصفية Numerous qualitative parameter أهمها :

أ. التركيب الاجتماعي المهني لأفراد المجتمع المحلى.

ب. مستوى التعليم والمعرفة والوعي بظاهرة السياحة.

ج. مستوى المعيشة. د. قوة وأصالة الثقافة المحلية ومستوياتها.

ويجب الاعتراف بأنَّ أعراف المجتمع المحلى وعاداته جزء من التراث الثقافي Cultural heritagee ويستحق الحماية بذات القدر أو يزيد على ذلك القدر اللازم لحماية عناصر المناطق السياحية مثل مكونات البيئة. وللعلاقات العامة أهمية كبرى، حيث إنَّ زيادة أعداد السائحين بشكل كبير يصاحبها تلف مضاعف يتمثل في: تحول مسار أسلوب الضيافة التقليدى في العديد من الدول إلى أغراض تجارية تؤدى إلى الحد من العلاقات الشخصية. وهناك العديد من التأثيرات الأخرى تتمثل في التصرفات أو الأنماط الاستهلاكية Consumerist behaviour. وبرغم ذلك، فإنَّه من الخطأ أنْ نلوم السياحة بأنَّها المسئولة عن كل هذه المشاكل، والتى هى أيضا مرتبطة بالتغيرات الاجتماعية الناتجة عن تحضُّر المجتمعات والتى تؤدى السياحة إلى إسراعها وليس إيجادها.

3ـ التأثيرات الثقافية Cultural Impacts

تدل المشاهدات على أنَّ للسياحة تكلفةً أو ثمناً اجتماعياً يصعب في معظم الأحيان تقديره. منها على سبيل المثال تهديد العادات والتقاليد الخاصة لكل دولة وأحيانا الخاصة بالإقليم. وعلى الجانب الآخر تكون السياحة هى الوسيلة أو الضمان الحقيقى للمحافظة على التقاليد الأصلية التى تجذب العديد من السائحين أو راغبى الإجازات Holiday makers. ولا شك أنَّه من الأهمية بمكان العمل على الحماية والمحافظة على التراث الثقافي والاهتمام بالمشاكل وثيقة الصلة بها

وخاصة: التجارة الممنوعة في الحيوانات – البحوث الأثرية غير الرسمية – اضمحلال وتآكل القيم الجمالية وبعض المهارات Know - How – اختفاء الصناعات اليدوية عالية الجودة ... الخ.

وتحويل الثقافات التقليدية للشعوب إلى أحداث تجارية تعنى إيجاد أو توليد ثقافة زائفة وغير حقيقية. فمثلا الفولكولور البديل أو الصناعى Ersatz folklore يكون معدوم القيمة سواء للسكان الأصليين أو للسائحين. وذات الشيء عند الحديث عن الصانع اليدوي الماهر Craftsman. ويكمن جوهر الأمر في عدم التوافق أو التنافر بين الأهمية الثقافية والاقتصادية، التى تؤدى في النهاية إلى أنْ تكون هناك تضحية بالقيمة الثقافية من أجل التنمية السياحية، بمعنى إضافة قيمة اقتصادية مقابل فقد القيمة الثقافية. ومع ذلك، فإنَّ تعريض السكان المحليين لثقافات أخرى نتيجة لوجود السائحين بالمناطق السياحية ذات تأثير عكسى لما سبق توضيحه. وعلى المستوى الاجتماعى، فإنَّ حسن تنظيم السياحة وإدارتها ، ينتج عنه تبادل ثقافي جيد ومرغوب بين السائحين وقاطنى المناطق السياحية، وكذلك توطيد علاقات الصداقة والاستمتاع المسئول المتبادل بينهما. وتؤدى حسن الإدارة أفقيا وخاصة على المدى الطويل إلى حماية والمحافظة على المنتجعات الطبيعية. وتؤدى السياحة إلى تجديد الفنون التقليدية وإعادة إحياء الفنون الأصلية المميزة للبلاد المُضيَّفة للسائحين كما تؤدى السياحة في كثير من الأحيان إلى إحياء الحياة الاجتماعية والثقافية للعديد من المجتمعات.